

مجلة العلوم القانونية والاجتماعية

Journal of legal and social studies

Issn: 2507-7333

Eissn: 2676-1742

التكامل المعرفي والامتزاج المفاهيمي بين اللسانيات وعلم الاجتماع

**The integration of knowledge and the conceptual mingling between
linguistics and sociology**

بلقاسم بن قطاية *

مخبر اللسانيات وتكنولوجيا التعليم وقضايا الأمن اللغوي

المركز الجامعي آفلو

b.bengataia@cu-aflou.edu.dz

تاريخ النشر: 2025/06/01

تاريخ القبول: 2025/04/01

تاريخ ارسال المقال: 2025/03/05

* المؤلف المرسل

الملخص:

إنّ مبدأ التكامل بين اللسانيات وعلم الاجتماع والامتزاج بينها في فهم اللغة وتفسيرها في إطارها الاجتماعي، يثبت الاصطلاح الاجتماعي للغة وفق العلاقة الاعتبارية بين الدال والمدلول، وبالتالي يُفقد الخاصية الفردية لها، التي تفرض عليه التقيد بالقواعد التي تحكمها، لذا فهي وسيلة للتواصل وتنظيم المجتمع، والحفاظ على قيمه وثقافته وحضارته المتعاقبة عبر العصور. توجد روابط بين اللغات المتقاربة في الأصل، وتنتقل وتتغلغل داخل المجتمعات الأخرى بفعل الاستدمار، أو التأثير الحضاري. من هنا نقف أمام الإشكالية الآتية: أين يكمن التكامل المعرفي والامتزاج المفاهيمي بين اللسانيات وعلم الاجتماع؟ للوصول إلى الأهداف الآتية:

- تقاطع موضوع اللغة بين اللسانيات وعلم الاجتماع.
 - البعد الحضاري للغة.
 - اختلاف اللغات يختلف باختلاف المجتمعات.
 - انتشار اللغة بفعل التوسع والاحتكاك.
- لنصل في النهاية إلى مدى التكامل المعرفي المفاهيمي بين اللسانيات وعلم الاجتماع.
- الكلمات المفتاحية:** اللسانيات، التكامل، علم الاجتماع، حركة اللغة.

Abstract :

The concept of The integration between linguistics and sociology to understand the language and interpret it in its social frame. The sociol terminology of language prooves according to the arbitrary relation between the signifier and signified there fore it looses its individul character which impose to respect its rules, thus it is a mean of communication, society organisation and preserve its values, culture and consecutive civilization during periods. originally there are connections between the convergent languages. It passes to penetrate in the societiés by the colonolisation or civilizational impact.

From here, we stand in front of the following problematic: where does, the knoledge integration and the conceptual mingling between linguistics and sociology lie, to reach the following objectives:

- inlersection of language subject beteen linguistics and sociology.
- civilizional dimension of language.
- language differences differs from the divergence of sociètiés.
- language spread activates growing and frottage.

At the end we deduce the extent of knowledge integration and the conceptual be between linguistics and sociology.

Key words: linguistics, integration, sociology, language movement.

مقدمة:

أن المتأمل للغة كخاصية إنسانية تميز بها الإنسان عن سائر الكائنات الحية، فرضت وجودها داخل المجتمع الذي يتواصل بها، فوجود اللغة يحتم وجود المجتمع، واختفاؤها يحتم زوال المجتمع من هذا الكوكب الأرضي الذي وُجد فيه. بما يفكر الإنسان ويعبر عن أحاسيسه ومشاعره، ويستذكر ماضيه، ويرسم ملامح المستقبل، ويوضح بها المجرد، ويجسد المحسوس، يحدث هذا كله داخل المجتمع الذي تعيش فيه.

إن اللغة قواعد وقوانين تحكمها مستوياتها الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية. استعمالها الإنسان في نقل معارفه وثقافته، وقيمه الحضارية عبر العصور والأزمنة المتعاقبة، فهي وعاء فكري وحضاري مترسب لمختلف العلوم والفنون المنقولة مشافهة، أوفي طيات الكتب على اختلاف تخصصاتها. لنقف أمام إشكالية مفادها: أين يكمن التكامل المعرفي والامتزاج المفاهيمي بين اللسانيات وعلم الاجتماع؟

للإجابة عن هذه الإشكالية اعتمدنا المنهج الوصفي لوصف التقاطعات اللسانية والاجتماعية في فهم وتفسير الظواهر اللغوية في إطار قاعدة تمازج الاختصاص. وبالأخص حينما يصف اللسانيون اللغة بأنها مؤسسة اجتماعية، تخضع للتقليد الاجتماعي الاعتباري، وتصنيف اللغات على أسس القرابة الاجتماعية، وكذا الصراع اللغوي الذي أدى إلى انتشار لغات واختفاء أخرى أو تقلص وجودها. أما الأهداف يمكن أن نختصرها فيما يلي:

- 1- اللغة وسيلة للتفكير والتواصل بين أفراد المجتمع.
- 2- اللغة تخضع لقواعد يتعارف عليها أفراد المجتمع الواحد، لا يمكن تجاوزها.
- 3- للغة بعد حضاري مترسب لمختلف العلوم.
- 4- يختلف الاستعمال اللغوي باختلاف طبقات المجتمع.
- 5- الانتشار اللغوي يخضع لعامل الاحتكاك والتجاور.

لنصل في النهاية إلى جملة من النتائج، التي تبرز التقاطعات بين اللسانيات وعلم الاجتماع في المفاهيم والمعارف الاجتماعية واللغوية

1- مفهوم اللغة:

لغة:

- يقول ابن منظور: اللغة مشتقة من لغا يلغو؛ إذا تكلم؛ فمعناها الكلام.¹

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ سورة فصلت، الآية:

26. أي لا تسمعوا ولا تطيعوا. أما قوله تعالى: «وَالْغَوْا» فسرهما ابن عباس بقوله: «قال أبو جهل: إذا قرأ محمد فصيحا في وجهه حتى لا يدري ما يقول. وقيل: أنهم فعلوا ذلك لما أعجزهم القرآن».²

هذا الصياح في الكلام والاختلاط بين ألفاظه، يفقد معناه ويصبح لغواً. المقصود أن عدم السماع لهذا القرآن والتأثير عليه بالأصوات المختلطة، يفقده المعنى والتبليغ، وتبقى الغلبة لقريش في رأيهم. هذا لأن القرآن أعجزهم ببيانه وبلاغته، وفصاحته.

اصطلاحاً:

أما في الاصطلاح فعرفت بتعريفات عديدة، أشهرها ما ذكره أبو الفتح ابن جني (ت396هـ) في كتابه (الخصائص)، حيث قال: «أما حدّها فإنّها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم».³ عبر ابن جني عن حقيقة اللغة بأنها أصوات؛ يحدثها الجهاز الصوتي للإنسان، يعبر بها إلى سماع المخاطب. هدفها التعبير عن الآراء والأفكار، حيث يكمن هنا التفكير والتعبير لكل قوم، والمقصود بالقوم (المجتمع)؛ وهنا تتضح الخاصية الاجتماعية للغة، التي تختلف باختلاف المجتمعات نطقاً وكتابة.

بها يصل الإنسان إلى معرفة ما يريده الباث عند النطق بالكلمات والعبارات. يقول سيف الدين الأمدي: «وكان كل واحد لا يستقل بتحصيل معارفه بنفسه وحده دون معين ومساعد له من نوعه دعت الحاجة إلى نصب دلائل يتوصل بها إلى معرفة ما في ضمير الآخر من المعلومات المعينة له في تحقيق غرضه».⁴ أن المتأمل لقول الأمدي يدرك أن المعرفة تختلف من شخص لآخر، وحسب المستويات العلمية، كما أن اللغة خاصة إنسانية لها دلائل يتوصل بها الفرد إلى معرفة ما في ضمير الآخر من معلومات ومعارف وتصورات عند النطق بها فهنا يحدث التواصل الاجتماعي بين الأفراد والجماعات وبها تتحقق الوظيفة الاجتماعية. لأن الدليل يطلق على ما فيه دلالة وإرشاد للوصول إلى المطلوب.

2- اللسانيات الاجتماعية والحتمية اللغوية:

2-1- مفهوم اللسانيات الاجتماعية:

يعرفها فيشمان fishman بأنها: «علم يبحث التفاعل بين جانبي السوك الإنساني: استعمال اللغة والتنظيم الاجتماعي للسلوك».⁵ بما أنّ اللغة أثراً في المجتمع توجيهها وتنظيمها وتأثيرها في سلوكه. فهي توجه المجتمع إلى سلوك معين يخضع لقيم المجتمع وعاداته وتقاليده. تبقى اللغة حاملة لهذا الوعي أثناء التحوار والتخاطب بين أفراد المجتمع.

لذا فهو يركز على هذا التفاعل الاجتماعي. وقد استعمل عبده الراجحي مصطلح علم اللغة الاجتماعي، حيث بيّن بأنه: «يدرس اللغة باعتبارها تتحقق في مجتمع؛ أي أنّه يدرس الظاهرة اللغوية حين يكون هناك تفاعل لغوي؛ أي لا بد أن يكون هناك «متكلم» و «مستمع» أو متكلمون أو مستمعون، وإذن لا بد أن يكون هناك

موقف «لغوي» يحدث فيه الكلام، وتتوزع فيه «الأدوار» و «الوظائف» وفق قواعد متعارف عليها داخل المجتمع»⁶. فهو يهتم باللغة أثناء التواصل الاجتماعي، لأن التواصل يتطلب وسيلة اتصال وهي اللغة، ومتكلم أي باث أو مرسل للكلام في شكل رسالة منطوقة، ومستمع يتلقى ويستقبل الكلام؛ أي الرسالة (عن ماذا يتكلم المرسل؟)، يحدث هذا كله في زمان ومكان معين. يتبادل المخاطبان أدوار التواصل، حيث قد يتحول المرسل إليه إلى مستقبل. لنصل من خلال هذا التصور أن:

اللسانيات الاجتماعية تقوم على لغة وأنظمة اتصال مختلفة تحدّد الأدوار التواصل. واللغة هي لغة

المجتمع الذي يعيش فيه، فالفرد لا يختار اللغة ولا المجتمع الذي يولد فيه.

2-2- الحتمية الاجتماعية للغة:

إنّ التعدد اللغوي، والثقافي من مجتمع لآخر، يحدد لنا خصوصية المجتمعات اللغوية والثقافية والحضارية، ومدى انتشارها وتفاعلها مع اللغات الأخرى، أو انغلاقها على نفسها. هذا ما يجعل أن كل فرد من أفراد المجتمع يخضع في تعاملاته اللغوية لقواعد وقوانين لغته التي فرضها المجتمع ووجدت فيه، فهي سابقة الوجود له. عندما يولد هذا الفرد يسمعها ويكتسبها بالتدريج عبر مراحل من خلال التمرن عليها نطقاً وممارسة وفق المعاني والدلالات المرسومة سابقاً. ومن هنا نقف أمام الحتمية الاجتماعية للغة التي تمنع الفرد من خرق قواعد اللغة التي تحكم مستوياتها الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية. فيجد المجتمع والمدرسة فيما بعد يقومانه للنطق السليم الصحيح. لأن كل مخالفة لذلك يعد خطأ مس اللغة المتعارف عليها لذا يجب معالجته. وقد ورد ذلك في التراث العربي بعد دخول الأعاجم مما

اضطروهم إلى وضع القواعد النحوية. حيث تشير الروايات إلى أنّ: «واضع النحو أبو الأسود الدؤلي بأمر من سيدنا علي كرم الله وجهه»⁷. وهناك من يريد روايات أخرى متعددة، منها أنه: «سمع قارئاً يقرأ الآية الكريمة (وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ) التوبة الآية: 3. بكسر اللام في رسوله، فقال: ما ظننت أمر الناس يصل إلى هذا واستأذن زياد بن أبيه والي البصرة، وقيل بل استأذن ابنه عبيد الله واليها من بعده في أن يضع للناس رسم العربية»⁸. وبهذا نكون أمام حتمية دينية تفرض على أهل اللغة المحافظة عليها من اللحن والتحريف. المجتمع لا يقف أمام هذا الخرق الفاضح لقواعد اللغة، عن جهل أو عن دراية موقف المتفرج بل يوجه ويصوب. وهذا

ما جعل اللسانيين المتأجرين وعلى رأسهم دي سوسير يركز على البعد الاجتماعي للغة. حيث يقول: «إنّ اللغة عبارة عن قواعد تستقر في دماغ المتكلم بعد أن يكتسبها بشكل اتفاقي من المجتمع».⁹

رغم أنّ الحتمية تفرض عدم الخروج على قواعد اللغة المكتسبة، إلا أنّها تحقق التكامل الاجتماعي في التفكير الموحد والثقافة الواحدة والانتماء المشترك للمجتمع وقيمه.

3- اللغة والمجتمع:

إنّ المتتبع لحضور اللغة الدائم داخل المجتمع، يدرك أنه بما يحيا ويتفاعل وينفعل ويتواصل، ويحقق كل ما يريده مع الطرف الآخر. لذا ندرك أن اللغة وظيفة تواصلية بين أفراد المجتمع بين أفراد المجتمع من جهة، ومن جهة ثانية يبرز دور الحاضر في الدورة التواصلية (المرسل والمرسل إليه) بخلفيته الثقافية والعلمية، أو انعدامها أحيانا، وبمهنته الاجتماعية، ونوع جنسه، فنقف أمام تعدد الطبقات داخل المجتمع، وتباين التواصل بينهم.

3-1- الوظيفة التواصلية:

إن إقامة العلاقة الاجتماعية يتطلب التواصل بين أفراد المجتمع الواحد، لذا فإذا كانت منطلقات اللغة فكرية تحدث على مستوى الدماغ، فإن وظيفتها إبراز الأفكار والمعارف والمعلومات للآخرين أثناء التواصل الاجتماعي، مما يجعل التواصل اللساني يرتكز على ثلاثة عناصر أساسية كما حدده أحمد حساني وهي:

«أ- المتكلم أو المرسل.

ب- المستمع أو المستقبل.

ج- نظام متجانس من العلامات الدالة، يمتلكها المتكلم المستمع على حد سواء».¹⁰

إن التركيز على البنى اللغوية المترابطة في ذاتها غير كافية، بل لا بد من التركيز على الوظائف التي تؤديها هذه البنى في أسبقيتها المختلفة، لتحقيق الدورة التواصلية بين لها، ومتلقي لها.

تتداخل عدة قوى عقلية، ووسائط فيزيولوجية تتحكم في النقل المعارف والأفكار في مخارج نطقية إرسالية، إلى مداخل استقبالية سمعية، تلعب القوى العقلية الواعية بين المستويين دور الإفهام والفهم. وبهذا ف «إن أحداث التخاطب تتوالى على ثلاثة مستويات: مستوى عصبي- لغوي (إنشاء الكلام وفهمه)، مستوى فيزيولوجي (النطق والسمع)، ومستوى فيزيائي -صوتي (انتقال الكلام).¹¹

إن القوة الخفية تتحكم في ضبط وتنظيم التصورات والمفاهيم الخفية في شكل كلمات وعبارات صوتية تنتقل عبر جهاز نطق الباث إلى سمع المتلقي الذي يتلقاها ويفسرها على مستوى الدماغ لإدراك المعاني المقصودة.

هكذا يحدث التفاعل بين الطرفين فهما وإفهاما، قد يتطلب في بعض الأحيان توضيح المعاني والدلالات وتفسيرها، أو تدعيمها بالحجج والبراهين الدالة المثبتة لها حسب نوع الخطاب والحوار الدائر بين الطرفين. لكن نقف هنا أمام مفارقة واضحة بين الباث والمتلقي، هل هما في نفس المستوى الثقافي؟ أم يختلفان في المستوى داخل المجتمع الواحد؟

3-2- الطبقات الاجتماعية والتواصل اللغوي:

إن الناظر في المجتمع اليوم يدرك الخطابات المتباينة بتباين المتخاطبين سواء كانوا ذكورا، أو إناثا، مثقفين أو عواما، أو من متوسطي الثقافة، مهنيين وحرفيين على اختلاف مهنتهم وحرفهم، يدرك المفاهيم المستعملة بين كل فئة، والحوارات التي تجري بينهم. هذه القضية تفتن العلماء قديما وأدركوا أهمية الألفاظ واستعمالات في مقامات مختلفة، وحسب خلفية متكلميها. من بين هؤلاء العلماء الجاحظ الذي يقول: «ولكل قوم ألفاظٌ حظيت عندهم. وكذلك كل بليغ في الأرض وصاحب كلامٍ موزونٍ؛ فلا بد أن يكون قد لهج وألف ألفاظًا بأعيانها، ليدبرها في كلامه».¹² كما بين أن لكل طائفة من طوائف البشر ألفاظا يستعملونها في تعاملاتهم، لذلك نجده يقول: «وأرى أن ألفاظ المتكلمين ما دُمْتُ خائضًا في صناعة الكلام مع خواص أهل الكلام؛ فإن ذلك أفهم [لهم] عني، وأخف لمؤنتهم علي».¹³

والهدف من التواصل والتخاطب هو إيصال المعارف لمتلقيها فهما وإفهاما، فبأي شيء يوصل الباث يوصل المعنى فذلك هو الإيضاح والبيان. يقول الجاحظ: «والغاية التي يجري القارئ والسماع إنما هو الفهم والإفهام فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت المعنى فذلك هو البيان في البيان في ذلك الموضوع».¹⁴

خاصية البيان في التخاطب بادية للعيان حسب السياق والأفراد المتخاطبين، لأن الأفكار والمعلومات والمعارف كامنة في ذهن أي فرد من أفراد المجتمع، تظهر للعيان والواقع المسموع بعد النطق بها، ومنها يدركها المتلقي ويحللها في سياقها الذي وردت فيه. كما أن للمجتمع دورا في توجيه الفرد ذكور وإناثا، حسب التخصصات والتفاوت المعرفي العلمي، لأنه لا يمكن أن يتجاوز قيم المجتمع وعاداته وتقاليده. ولذلك يختلف الخطاب داخل المجتمع حسب ما يلي:

أ- الجنس: إن الاختلاف بين الجنسين الذكور والإناث من حيث الخصائص الجسمية والانفعالية والنفسية يحتم وجود اختلاف التواصل بين الجنسين في نوع الألفاظ والعبارات المستعملة داخل المجتمع، أو حتى بين الجنس الواحد في اختيار الكلمات والعبارات المتداولة بينها و«يتجلى ذلك في الاختلاف الواضح بين القاموس اللغوي

عند المرأة والقاموس اللغوي عند الرجال، فهناك أنماط خطابية خاصة بالنساء لتحقيق أغراض تعبيرية وإبلاغية معينة لا تكاد تكون مألوفة عند الرجل، بل قد تكون منعدمة في رصيده المعجمي¹⁵. هذا ما يلائم طبيعة الخلقية والخطابية التي فرضها المجتمع على كل منهما، كما لا نسي البعد الثقافي لكل منهما في توظيف القاموس اللغوي حسبما يقتضيه سياق الخطاب العام.

ب-طبقات المجتمع:

إن المتتبع والملاحظ للمجتمعات يدرك الاختلاف والتباين بين أفرادها من حيث المستوى العلمي والثقافي، فهناك البدو والحضري، ومن كل واحد منهم تصدر ألفاظا وعبارات تختلف عن الآخر قوة وضعفا، بساطة وعمقا... الخ. وقد تفتن الجاحظ لذلك حين قال: «وكلام الناس في طبقات كما أنّ الناس أنفسهم في طبقات، فمن الكلام الجزل والسّخيف، والمليح والحسن، والقبيح والسّمج، والخفيف والثقيل، وكلّه عربي»¹⁶. الكلام منه القوي الفصيح والفارغ الذي لا فائدة منه. ومنه الذي ترتاح له لإحكامه وجودته. ومن المستهجن الرديء. فأثر الكلام باديا من حسنه أو قبحه، ومن صدر هذا الحسن والقبح.

قد تتنوع اللهجات داخل المجتمع تبعا للتنوع الطبقي السائد خاصة من خلال بعض الدراسات التي أجريت: «وبذلك يتضح أنّ لغة الأمة في مجتمع واحد قد تتشعب إلى لهجات متباينة وذلك لتباين الطبقات والفئات الاجتماعية في المجتمع. وقد نلمس في بلد ما وجود لهجة متميزة للطبقة الأرستقراطية، ولهجة لطبقة العمال، والتجار، والصيادين، والسواحلية، والريفين...»¹⁷. كل طبقة لها نبر ونغمة معينة في التعامل مع اللغة، أو اللهجة التي تتكلم بها، تختلف من طبقة لأخرى. كما أنّ المصطلحات المستعملة تختلف باختلاف الفئات، نجد مصطلحات التجار تختلف عن مصطلحات الصيادين، عن سكان الريف... الخ.

4-تصنيف اللغات على أساس القرابة

توصل اللغويون في القرن 19م إلى تقسيم اللغات إلى مجموعات، أو أسر متفرعة تجمع بينها صلة القرابة اللغوية في المفردات والبنية والتنظيم، وعلى هذا الأساس قسم ماكس مولر اللغات إلى فصائل: «الفصيلة الهندية الأوروبية، والفصيلة السامية -الحامية، والفصيلة الطورانية»¹⁸.

أ-الفصيلة الهندية الأوروبية: من خلال كلمتين الهندية الأوروبية يدرك الباحث أن هذه الفصيلة تمتد في الهند وأوروبا، وتضم اللغات الآرية: «اللغة السنسكريتية، واللغات الهندية الحديثة، واللغات الأرمنية، واللغات الإغريقية، اللغات الألبانية، واللغات الإيطالية، واللغات السلتيّة، واللغات الألمانية الجوتية والجرمانية، واللغات البلطيقية السلافية».

ب-الفصيلة السامية الحامية: وهي نسبة إلى سام بن نوح عليه السلام، ونلاحظ أنّها تمتد في الشرق الأوسط، وإفريقيا وتضم «فروعا متعددة كالفرع الأكادي، والفرع الكنعاني، والفرع الآرامي، والفرع العربي الجنوبي، والفرع الحبشي، والفرع المصري القديم، والفرع البربري، والفرع الكوشي».²⁰

ج-الفصيلة الطورانية: وهي التي لا تنتمي إلى الفصيلتين السابقتين، وهي لغات لا تربطها أي صلات قرابة كما أنّها لا ترجع إلى أصول مشتركة فيما بينها، وتطلق على طائفة من اللغات الآسيوية «وهي اللغات التركية، والتركمانية، والمغولية، والمنشورية، والفينية».²¹

وفي هذا المنحى من الدراسة تطور المنهج المقارن الذي يهتم بدراسة العلاقات والترابطات بين لغتين أو أكثر ضمن الفصيلة اللغوية الواحدة. ويهدف إلى إبراز أوجه الشبه والاختلاف بين ظاهرتين أو أكثر.

5-الصراع اللغوي:

إن الصراع اللغوي بين المجتمعات، أو داخل المجتمع الواحد، لم يكن ولد اللحظة بل كان موجدا منذ أن وجد الإنسان، فهو يريد أن يثبت ذاته، وهويته بإثبات منطوقة. فلو عدنا إلى القبائل العربية لوجدنا الصراع اللغوي تجلّى في شعر القبائل قوة وضعفا، حيث عجت الأسواق بالشعر والشعراء، وبمحتكميه مثل: النابغة الذبياني. يقول الأصمعي: «كان النابغة يضرب له قُبّة حمراء من آدم بسوق عكاظ فتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها».²² كما أنّ الاتصال بالمجتمعات الأخرى يحتم على المجتمع أن يعرف نفسه، ويتفاعل معها، وبهذا يحافظ على لغته وقيمه وعاداته وتقاليده، غير أن حركة الألفاظ والمصطلحات بين اللغات تأثيرا وتأثرا، نتيجة الاحتكاك والتواصل المستمر والمباشر ظاهرا في كل اللغات، وخاصة في اللغة العربية وعرف بمصطلح "التعريب".

5-1-عوامل الصراع: يمكن أن نوجز ذلك فيما يلي:

1-نزوح عناصر من مجتمع إلى مجتمع آخر يختلفان في اللغة والعادات والتقاليد.

2-التجاور بين مجتمعين بفعل التجارة، أو التعاون الاقتصادي، أو الثقافي.

وقد عبّر عن ذلك علي عبد الواحد وافي بقوله: «متى اجتمع لغتان في بلد واحد لا مناص من تأثر كل منهما بالأخرى، سواء أ تغلبت إحداها أم كتب لكليتهما البقاء. غير أنّ هذا التأثير يختلف في مبلغه ومنهجه ونواحي ظهوره ونتائجه في الحالة الأولى عنه في الحالة الثانية».²³ ومن هنا ندرك أن التأثير يكون نتيجة الغلبة، فالمغلوب مولع بتقاليد الغالب، لأن الغالب فرض وجوده وهيمنته على الغالب، سواء أكان هذا التأثير جزئي أو كلي؛ مما يندر في الحالة الثانية بزوال اللغة الأولى، أو في المنهج الذي تسير عليه اللغة الغالبة فيفرض تلك قواعد التي تسير عليها على اللغة الأخرى... الخ.

5-2- أشكال الصراع:

أ- **الصراع الداخلي**: قد يقع الصراع داخلي بين أفراد اللغة الواحدة وتتعدد لهجاتهم فتموت اللغة الأصلية كما حدث للغة السامية. يقول هادي نهر: «كثرة الناطقين باللغة، وتباعد بيئاتهم، يؤدي إلى تولد لهجات محلية منبثقة عن اللغة الأم لتكون لغات وتندثر اللغة الأصلية».²⁴ إن اللغة السامية انفصلت عنها عدة لغات أهمها: الأكادية، والكنعانية، والآرامية، والعربية... إلخ. لكن أين السامية الأم؟

ب- **الغزو**: يحدث هنا تأثير وتأثر بين اللغتين نتيجة الغزو، وبالتالي قد تكون الغلبة للغة الغازية، أو اللغة المغزوة. أما في حال تغلب اللغة الغازية، وذلك أن: «تُغزى اللغة المعينة من لغة أخرى، حيث يكون الغزاة أكثر عددا من أهل اللغة المغزوة، كما هو الحال في تغلب السامية على السومريين».²⁵ وأما في حالة تغلب اللغة المغلوبة لأنها لغة رقي وحضارة، كما وقع للغة العربية «أيام غزو التتار لعاصمة الخلافة العباسية بغداد فقد اعتنق أكثرهم الإسلام وتعلموا العربية».²⁶ إن تأثر التتار بالإسلام واعتناقهم له جعلهم يتعلمون اللغة العربية.

ولا يخفى أثر الاستعمار الفرنسي والإنجليزي الحديث على الدول الإفريقية والآسيوية الذي حتم التعامل بلغته خلال تواجده في تلك الدول وفرض وجودها، والتي مازال توجدنا إلى يومنا هذا في هذه المستعمرات.

ج- **الدخيل**: وهو اللفظ الذي دخل من لغة إلى لغة أخرى لم يكن معروفا فيها، وخاصة إلى اللغة العربية، وقد عُرف بالمعرب، والدخيل، والمولد. وهذه المصطلحات تستعمل في سياقها الزمني، وخضوعها للبناء العربي.

الدخيل: «فهو مأخوذ من قولهم «فلان دخيل في بني فلان» إذا كان من غيرهم ويستعمله علماء اللغة كأنه مرادف للمعرب وكأنّ مدلولهما واحد».²⁷

أما المعرب فيرتبط ووروده في عصر الاستشهاد، والعلاقة بينه وبين الدخيل علاقة خصوص وعموم. ل «أنّ الفرق بين المعرب والدخيل هو أنّ الدخيل أعم من المعرب. فيطلق على كل ما دخل العربية من اللغات الأعجمية سواء أكان ذلك في عصر الاستشهاد أم بعده، وسواء خضع عند التعريب للأصوات والأبنية العربية أم لم يخضع. وسواء كان نكرة أم علماً».²⁸

الكلمات التي دخلت اللغة العربية في عصر الاستشهاد من اللغة الفارسية، أو الرومية، أو الهندية، أو السريانية... إلخ. عُرّبت، وخضعت لقواعد اللغة العربية، وأصبحت تستعمل كبقية الكلمات العربية في الكتب والمعاجم والبحوث الأكاديمية.

6- الدلالة الاجتماعية للضمائر:

المجتمع يتكون من أفراد حاضرين، أو غائبين، كثيرون العدد أو قليله، يتفاوتون في رتبهم ومستوياتهم العلمية والمعرفية، تظهر هذه في النصوص المختلفة أثناء مخاطبة الحاضرين بضمير المخاطبة للذكور ب(أنتم)، والإناث

ب(أنتن)، وضمير الغائب للغائبين الذكور ب (هم)، والإناث ب(هن)، حيث يظهر التواصل الاجتماعي بين أفراد المجتمع من خلال هذه الضمائر، التي تبرز الكينونة الاجتماعية التي فرضت وجودها على الفرد خضوعاً وامتثالاً للحتمية الاجتماعية.

6-1- نموذج تطبيقي للدلالة الاجتماعية للضمائر:

سنحاول هنا أن نبرز حضور الدلالة الاجتماعية في النثر والشعر من خلال الخطب. سنأخذ خطبة قُسط بن ساعدة الإيادي بسوق عكاظ. يقول فيها:

«أَيُّهَا النَّاسُ اسْمَعُوا وَعَوَا، مِنْ عَاشٍ مَاتَ، وَمِنْ مَاتٍ فَاتَ، وَكُلٌّ مَا هُوَ آتٍ آتٍ، لَيْلٌ دَاجٍ، وَنَهَارٌ سَاجٍ، وَسَمَاءٌ ذَاتُ أَجْرَاجٍ، وَنَجْمٌ تَزْهَرُ، وَبَحَارٌ تَزْخَرُ، وَجِبَالٌ مَرَسَاةٌ، وَأَرْضٌ مَدْحَاةٌ، وَأَنْهَارٌ مَجْرَاةٌ. أَنَّ فِي السَّمَاءِ لَخَبِيرًا، وَإِنْ فِي الْأَرْضِ لَعَبِيرًا، مَا بَالُ النَّاسِ يَذْهَبُونَ وَلَا يَرْجِعُونَ، أَرْضُوا فَأَقَامُوا، أَمْ تَرَكَوْا فَنَامُوا؟»²⁹.

إنّ ملاحظ النص المائل أمامنا لقسط بن سعيد، يدرك أهمية الخطاب داخل المجتمع، فهو يخاطب قومه بقوله: «أَيُّهَا النَّاسُ اسْمَعُوا وَعَوَا». فهو ينبههم في خطبته ويحثهم على الإنصات لقوله وسماعه وفهمه فهما جيدا. مستعملا ضمير الخطاب واو الجماعة في الفعلين " اسمعوا، وعوا". ورتب بين السمع والفهم لأنه لا قيمة للسمع دون الفهم، ليرز أهمية السمع في التواصل الاجتماعي، كما استعمل في خطبته ثنائية تجمع بين اللفظة ونقيضها، مستفاد من الواقع الذي يدركه المجتمع وهي: (عاش ومات، ليل، ونهار، السماء والأرض، يذهبون، ويرجعون). كما استعمل المحسنات اللفظية: الطباق بين ليل ونهار. والجناس الناقص بين داج وساج. والسجع (داج، ساج، أبراج). ليرهن على وجود الخالق وقدرته وعظمته من علو السماء وما حوته من أبراج. كما استعمل ضمير الغائب: هم في قوله: (يذهبون ولا يرجعون). مخاطبا الأحياء ومقارنا بينهم وبين الأموات بضمير "هم".

الخطبة تجمع بين ضميري المخاطب للجمع حضورا وغيابا، لتثبت حركة الخطاب داخل المجتمع

هذه الخطبة عبارة عن حكمة موجهة إلى مجتمعه، يحثهم فيها إلى التأمل في الظواهر الماثلة التي تحدث في حياة الإنسان. لا بد أن يقف أمامها الإنسان بأسلوب إنشائي غرضه التعجب. ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون؟ ليقف أمام قدرتهم المحدود مقارنة قدرة الخالق المطلقة.

هدف صاحب الخطبة هو توجيه المجتمع، ومحاولة إصلاحه، هذا الذي يجعل المتأمل يدرك محاولات التغيير والإصلاح من الأفراد لمجتمعاتهم، لكن في حدود ما يسمح به المجتمع.

-خاتمة:

في نهاية هذا التصور للتكامل المعرفي والامتزاج المفاهيمي بين اللسانيات وعلم الاجتماع، ندرك أنّ التفكير داخل المجتمع والتواصل بين أفراد، يتم باللغة المنطوقة فهما وإفهاما، وبها يحافظ على قيمه وعاداته وتقاليده. وبها يحصل العلم والمعرفة. يمكن أن نوجز ذلك في النتائج الآتية:

- 1- اللغة خاصية إنسانية بها يحدث التفكير ويتحقق التواصل بين أفراد المجتمع فهما وإفهاما.
- 2- اللغة راسب فكري يحمل قيم المجتمع وثقافته، وعاداته وتقاليده.
- 3- الحتمية الاجتماعية للغة تفرض على مستعملها عدم الخروج على قواعدها وقوانينها المتعارف عليها.
- 4- البيان في الخطاب اللغوي يظهر في السياق وحسب الأفراد المتخاطبين، والمعلومات والمعارف، ويتحقق عيانا في الواقع المسموع بعد النطق.
- 5- يختلف الخطاب باختلاف طبقات المجتمع، ومستواهم الثقافي والعلمي، فيظهر الكلام الجزل والسخيف والملح والحسن والسمح وغير ذلك.
- 6- تتفق اللغات وتترابط حسب القرابة في المفردات ذات الأصل الواحد، والبنية والتنظيم التركيبي.
- 7- الصراع اللغوي فرض حركة الكلمات والمصطلحات من لغة لأخرى بفعل التجاور والاحتكاك أو الخضوع للاستدمار.
- 8- النصوص الأدبية تظهر الدلالة الاجتماعية للضمائر أثناء الخطاب، باستعمال ضمائر الجماعة للحاضر أو الغائب، أفرادا، أو جماعة.

المصادر والمراجع:

- 1 - ينظر، ابن منظور، لسان العرب، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، ج8، ص: 99.
- 2 - أبو بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن المبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تح عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 2006، ج18، ص: 413.
- 3 - أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1952، ج1، ص: 33.
- 4 - سيف الدين الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، تعليق عبد الرزاق عفيفي، مؤسسة النور، بيروت، ط2، 1406هـ، ج1، ص: 13.
- 5 - Joshua fishman, The sociology of language , New bury house publishers, 1976, p: 45, 46.
- 6 - عبده الراجحي، علم اللغة التطبيقي وتعليم اللغة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1995، ص: 24.
- 7 - شوقي ضيف، المدارس النحوية، دار المعارف، ط7، القاهرة، ص: 13، 14.
- 8 - المرجع السابق، ص: 14، 15.
- 9 - دبة الطيب، مبادئ اللسانيات البنوية دراسة تحليلية إستراتيجية، مطبعة رويغي، الأغواط، ط2، 2019، ص: 93.
- 10 - أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية، ديوان المطبوعات الجامعية، 2009، الجزائر، ص: 76.
- 11 - كمال بكداش، علم النفس ومسائل اللغة، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2002، ص: 69.
- 12 - أبو عثمان الجاحظ، الحيوان، تح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1965، ج3، ص: 366.
- 13 - المرجع نفسه، ج3، ص: 368.
- 14 - أبو عثمان الجاحظ، البيان والتبيين، تح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط7، 1998، ج1، ص: 76.
- 15 - أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية حقل تعليمية اللغات، ص: 37.
- 16 - أبو عثمان الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص: 144.
- 17 - السيد علي شتا، علم الاجتماع اللغوي، مؤسسة شباب الجامعة، اسكندرية، مصر، 1996، ص: 186.
- 18 - المرجع نفسه، ص: 158.
- 19 - ينظر، المرجع نفسه، ص: 159، 160، 161، 162، 163.
- 20 - أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر دمشق، ط2، 1999م، ص: 27.
- 21 - علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، نخضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط9، 2004، ص: 206.
- 22 - ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تح أحمد شاكر، دار المعارف، مصر، ج1، ط2، ص: 167، 168.
- 23 - علي عبد الواحد وافي، اللغة والمجتمع، مكتبة عكاظ للنشر والتوزيع، جدة، السعودية، ط4، 1983، ص: 90.
- 24 - المرجع نفسه، ص: 127.
- 25 - المرجع نفسه، ص: 127.
- 26 - المرجع نفسه، ص: 128.
- 27 - أبو منصور الجواليقي، المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، تح ف. عبد الرحيم، دار القلم، دمشق، ط1، 1990، ص: 16.
- 28 - المرجع نفسه، ص: 17.
- 29 - أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، المكتبة العلمية، لبنان، ج1، ص: 38.